فصل في ذكر السُّريانِيينّ والكَلْدانيين والحَرّانيين

أول السُّريانيين آدمُ عليه السلام، حتى إنه قيل: لو تُرِك كلُّ مولود وطَبْعَه لتكلَّم بالسُّريانية. وامتدَّ الزمان عليهم، ولم يكن لهم بين آدمَ ونوحٍ مُلْكٌ، فلما كان الطُّوفان عاد مُلْكُهم بعده.

فأولُ ملوكهم نبيط بن سور بن سام بن نوح، وهم النَّبَط، وقيل: أولُ ملوكهم سوشان[1] وكان جباراً، ويقال: إنه أولُ مَن وضع التاج على رأسه، فأقام ستَّ عشرة سنة، ثم هلك، وكانت الرعية قد صرفت الهِمم إلى هلاكه. وكان مُلْكُ السُّريانيين ببابل، فوَلي منهم جماعةٌ دون المئة سنة، وآخِر مَن ملك منهم أَخوان، يقال لأحدهما: أزود، والآخر: خلنجاس، فأحسنا السيرة وتعاضدا.

فحُكي أن أحدهما كان جالساً ذات يوم في قصره، فنظر إلى أعلاه، فرأى طائراً قد فَرَّخ هناك، وهو يَصيح ويَضرب بجناحيه، وإذا بحيَّة قد دبَّت تريد أن تأكل فِراخه، فرماها الملكُ بنُشَّابة فقتلها، وسَلِمت الفراخ.

فلما كان بعد أيام جاء الطائر وفي منقاره حبة، وفي رجليه حبَّتان، فصَفَق بجناحيه وألقى الحبَّ بين يدي الملك، فتأمَّله وقال: لأمرٍ ما ألقى هذا الطائرُ الحبَّ، ولا شكَّ أنه قصدَ مكافأتَنا على ما فعلنا معه.

ثم أخذه ولم يعرف أحدٌ في إقليمه ما هو، فقال له بعض الحكماء: أَودِعْه الأرض. فأودعه الأرض فنبت، وأقبل يلتفُّ، فحَصْرم وأعنب، ولم يتجاسروا أن يذوقوه خوفاً أن يكون سمّاً، فقال الحكيم: اعصروه، فعصروه، وأودع ماءَه الآنية، فهدر وقذف بالزَّبَد، وفاحت له ريحةٌ عطِرة، فأحضر الحكيم شيخاً كبيراً، فسقاه منه قَدَحاً فتهلَّل وجهُه، ثم سقاه آخر فضحك، ثم سقاه آخر فصفّق وطرِب ورفع صوته يتغنَّى، فقال الحكيم[2]: هذا شرابٌ يَذهب بالعقل، ألا ترون الشيخ كيف عاد إلى الصِّبا وقوَّة الشباب وسلطان الدم! ثم أفاق الشيخ وقال: ما أرى هذا الطائر إلا أراد مكافأتكم بهذا

(١) في تاريخ اليعقوبي ١/ ٨١، ومروج الذهب ٢/ ٧٨: شوسان.

(٢) في مروج الذهب ٢/ ٩١ أن قائل هذا الكلام هو الملك.

الشراب الشريف، لقد أذهب عني الهمومَ والأحزان.

ثم أمر الملك بغَرْسِ الكروم بأرض بابل، وأكثروا منع العامَّة عنه. وقد جرت مثل هذه الواقعة لكسرى في الرَّيحان لما نذكر.

وأما الكلدانيُّون[١]

فهم ملوكُ بابل بعد النَّبَط، وأوَّلُهم نمرود بن كنعان، فإنه غَرَس الأشجار، ورتَّب العالَم، وأجرى الأنهار، وحفر نهر كُوثَى[٢] بين قصر ابن هُبَيْرة وبغداد، وتوالت الممالكُ بعده إلى زمان سنحاريب، وآخرهم بُخْتُ نَصَّرُ، فيقال: إنهم ملكوا ألفَيْ سنة.

وأما الحَرَّانيون

فهم الصابئة، وكانوا يسكنون حَرّان يعبدون الكواكب، وكان لهم بِحَرَّان أربعة هياكل مدوَّرات الشكل؛ أحدهم: هيكل العقل الفعَّال، والثاني: هيكل السلسلة، والثالث: هيكل الصورة، والرابع: هيكل النفس، وكانت لهم الهياكل السبعة على النجوم السبعة، فهيكل القمر مثمَّن، وهيكل عُطارد والزُّهَرة مربَّعان، وكذا هيكل الشمس، وهيكل المشتري مُثلَّث، وهيكل المرِّيخ وزُحَل مُسدَّسان، وقيل: هيكل المريخ مستطيل.

وكان على أبواب حران تماثيلُ وهياكل، منها على باب الرقَّة هيكل يقال له: مغلسا[٣]، وكان لآزَر والدِ الخليل عليه السلام، لأنه كان يَعبُد الكواكب، وكان تحت مغلسا سراديبُ فيها تماثيلُ الأجسام العُلوية، ولها مَنافخ وبَرابخ[٤] تَصفِر فيها السَّدَنةُ من وراء السُّترة، فتدخل الأصوات في المنافذ، فتظهرُ منها أصوات مُطرِبة يصيدون بها عقولَ الناس مثل الأُرْغُن الذي للرُّوم.

---

(١) في النسخ: الكلدانيين، وانظر فيهم تاريخ اليعقوبي ١/ ٨٢، ومروج الذهب ٢/ ٩٥.

(٢) ضبطه ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٤٨٧ بالضم ثم السكون والثاء مثلثة وألف مقصورة تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم.

(٣) في مروج الذهب ٤/ ٦٣ (وأكثر الكلام منه) مغليتيا.

(٤) البرابخ: منافذ المياه ومجاريه. القاموس المحيط (بربخ)، وفي مروج الذهب ٤/ ٦٤: فتجري الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق والمنافذ إلى تلك الصور.

وأصل الصابئة: من صَبأ، إذا مال إلى ما يهواهُ.

واختلف العلماء فيهم[١]، فقال مقاتل: هم صنفٌ من النصارى وافقوهم في بعض الأحكام وخالفوهم في البعض، وهو قولٌ عن الشافعي وأحمد.

وقال ابن زيد: هم يعبدون الكواكب، ويقرؤون الزَّبور، والكواكبُ عندهم الآلهةُ المدبِّرات للعالَم.

وقال عبيد بن عمير[٢]: كانوا فبانوا وذهبوا فلم يبقَ لهم عينٌ ولا أثرٌ.

قلت: وليس كما ذكر، فإن الصابئةَ اليوم بأرض البطائح منهم خلق كثير، وهم الذين يُسَكِّرون الأنهار، ولا يُطلِعون أحداً على مذاهبهم، فانتقلوا عن حَرَّانَ إلى العراق.

وأما حكم مناكحتهم فعند أبي حنيفة: هم قومٌ يقرؤون الزَّبُور، ولا يعبدون الكواكب بل يُعظِّمونها، كما يعظِّم المسلمون الكعبةَ، ومخالفتُهم للنصارى في بعض الأحكام لا يُخرِجُهم من أن يكونوا من جُملتهم، كنصارى بني تَغلب، فإنهم يُخالفون النَّصارى في الخمور والخنازير، وهم من جملتهم، وإذا كان لهم كتاب، وهو الزَّبور فتجوز مناكحتهم كاليهود مع النصارى، إلا أنه يكره مناكحتُهم للخلاف.

وعند أبي يوسف ومحمد: يعبدون النجوم، ويخالفون اليهود والنصارى في عقائدهم، فلا يكونون من جملتهم، وإذا كانوا يعبدون الكواكب فهم عبَّاد الأوثان، فلا يجوز مناكحتهم، واتفقوا على أنهم لو كانوا يعبدون الكواكبَ ولا كتاب لهم، أنه لا يجوز مناكحتُهم.

وقال بعضُ المشايخ: لا خلافَ على حقيقة؛ لأنَّ أبا حنيفةَ أجاب في فِرقةٍ لها كتابٌ، وهما أجابا فيمن ليس له كتابٌ وهو يعبُد الكواكب، فحينئذٍ ليس بينهم خلاف،

---

(١) انظر في ذلك تفسير الطبري ٢/ ١٤٦ـ١٤٧، وزاد المسير ١/ ٩٢، وتلبيس إبليس ص٧٣، وتفسير القرطبي ٢/ ١٦١ـ١٦٢ (طبعة الرسالة)، والرد على المنطقيين لابن تيمية ٢٨٧، وأحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ١/ ٩٢، وتفسير ابن كثير (البقرة ٦٢).

(٢) في (خ): بن عبيد، والمثبت من (ب).

وكذا حُكم حِلِّ ذبائحهم[١].

وقيل: إن الصحيح أنهم لا كتابَ لهم، لأن الزَّبور إنما أُنزِلَ على داود، وليس فيه أحكام ولا حلال ولا حرام، بل كلُّه مواعظ، وقد ذكرناه[٢] وليس في سيرة داود أنه بُعِث إليهم، ولا لهم ذِكْر.

ولمّا ولي القاهرُ محمد بن أحمد المعتضد بَلَغه ما هم عليه، فاستفتى الفقهاءَ فيهم، فأفتَوْه بقتلهم[٣]، وقالوا: لا كتابَ لهم ولا نبي، وهم يعبدون الكواكب، فنظر، فرآهم خلقاً كثيراً، فبذلوا للقاهر مالاً فكَفَّ عنهم.

وقيل: إنهم طائفةٌ من اليونان. وقال ابنُ الكلبي: الذي أظهر مذاهبهم رجل يقال له: يوداسف[٤]، في زمان طهمورث، وكان من كلامه: إن معالي الأمور، والشَّرف الكامل، والصلاح الشامل، ومعدن الحياة الأبدية، في هذا السَّقف المرفوع، وإن الكواكب هي المدبِّرات والواردات والصادرات، وذكر كلاماً طويلاً.

فصل في ذِكْر الفُرس الأُوَل، وتَنقُّل الأحوال بهم وتَقَلُّب الدول

واختلفوا في فارس على أقوال[٥]:

أحدها: أنه فارس بن سام بن نوح عليه السلام، والثاني: فارس بن ياسور[٦] بن سام بن نوح، وأن نبيط وفارس كانا أخوين، وأبوهما ياسور بن سام، والثالث: أن فارس اسمُه أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وأميم أولُ من حلَّ ببلاد فارس فنُسبت إليه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة هشام بن محمد الكَلْبي.

والرابع: أن فارسَ من ولد يوسف عليه السلام.

---

(١) انظر في رأي أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد إضافة إلى المراجع السالفة: المبسوط للسرخسي ٤/ ٢١١.

(٢) انظر قصة داود.

(٣) ذكر القرطبي وابن القيم وابن كثير وتاج الدين السبكي في طبقات الشافعية ٣/ ٢٣١ أن الذي أفتاه بذلك أبو سعيد الإصطخري.

(٤) في مروج الذهب ٢/ ١١١: بوداسف، وثمة كلامه.

(٥) ذكر هذه الاختلافات المسعودي في مروج الذهب ٢/ ١٣٨، وانظر صبح الأعشى ١/ ٣٦٩.

(٦) في (ك): ياسر، وسقطت من (خ)، والمثبت من (ب) وهو موافق لما في مروج الذهب.